



بغداد تتحدى الإرهاب

سكانها يواصلون حياتهم.. وليالي ضفاف دجلة ما زالت باقية

بغداد / صافيا اليساري

سكنية
العاصمة يواصلون
حياتهم اليومية بانتظار
الفرج
العوائل المهاجرة
والمهجرة تبدي حنينها
للعودة إلحايوتها
الإرهاب يفشل في غلق
الأسواق والمدارس
والجامعات

و

الإرهاب بانتظار الفرج دون أن يفقدوا الأمل في عودة الأمان والهدوء مهما طال الأمد. يقولون أنهم تعودوا أن يكونوا وهم يعترفون بالحب والله وحده يعلم كم يضمرون من الحب لمدينتهم المشوقفة ذات الدلال والأثر التاريخي المعروف، هي اليوم مرهقة وقلقة وحزينة بقدر ما فقدت وتفقد من أبنائها لكنها تواصل حياتها بصرار وتحد فما زال طلوع الفجر يجلب العمال والحرفيين إلى المساطر التي اعتادوا الذهاب إليها للحصول على فرصة عمل في الكاظمية والباب الشرقي والبياع ومناطق أخرى برغم استهدافهم من قبل الإرهابيين بالسيارات المفخخة والعبوات الناسفة والأسلحة الرشاشة، يقول عامل البناء سعد عبد الله المنتظر في مسطر الكاظمية، هذا هو قدرنا ولا بد لنا من مواجهته ولا يمكننا الهرب منه فنحن أصحاب عوائل وأولاد ولا يمكننا تركهم دون لقمة العيش التي تحكم علينا أن نزح مع الضجر إلى المساطر، فها في مسطر الكاظمية تعرضنا أكثر من مرة إلى تفجير سيارة مفخخة وعبوة ناسفة لكننا لم نترك المسطر، ولكننا نتساءل من ولماذا يستهدف العمال الفقراء مهما كانت هوية المستهدف فهو يرتكب جريمة بحق العراق والإنسانية والعاصمة بغداد بالأخص. ويقول الدكتور هشام فليح حسن الذي يمارس عمله في عيادته في شارع المشجر المتضرر من شارع السعدون؛ بالرغم من خطورة الوضع

الأماني في بغداد والتهديد الذي يواجهه الأطباء بالقتل والخطف من عصابات الجريمة والإرهاب ما متحدين كل تلك الأخطار وما زال المراجعون يتجهون إلى هذه العيادات في تحد واضح، لي عدة أصدقاء وزملاء تعرضوا للخطف فغادر بعضهم بغداد إلى عدة عواصم عربية وأوروبية ولكن الكثيرين غيروا مواقع عياداتهم واستمروا بالعمل متحدين خطر الإرهاب والجريمة. وعلى ذكر الهجرة والمهاجرين والمهجرين، فقد غادر عدد من سكان بغداد إلى عمان والقاهرة والشام، ولهؤلاء معاناتهم في مواجهة سلطة البلدان التي هاجروا إليها ما لم يمتلكوا مبلغا معينا من المال يوضع قسم منه في بنوك تلك الدول كإمانة ويسمح بالاشتغال بالقسم الآخر، أما المحافظات الشمالية فقد هاجر إليها العديد من أصحاب الأموال للعمل في قطاع المقاولات والتجارة والعقارات (الضنقة) كما هاجر إليها عدد كبير من الأيدي العاملة مستفيدين من نسبة الأمان العالية في هذه المحافظات وتوفر فرص العمل حيث حركة الإعمار في تصاعد.

العوائل المهجرة من بعض أحياء بغداد والتي اتجهت إلى المحافظات الجنوبية واسكنت المخيمات وحصلت على بعض المساعدات الإنسانية لا تني تبدي حنينها في العودة إلى بيوتها وتطالب الحكومة بتوفير الفرصة لذلك وحمائتها من عصابات الجريمة والإرهاب الطائفي

وقد وعد الرئيس جلال طالباني بوضع خطة أمنية لحماية مدينتي بغداد والبصرة أولا ثم بقية المحافظات فيما بعد.

الإرهاب والمدارس والجامعات

بعد أن خفت موجة مهاجمة الجوامع والحسينيات انطلقت موجة مهاجمة المدارس والجامعات فتفجرت عدة سيارات مفخخة على أبوابها وأطلقت عليها قذائف الهاون وفجر انتحاري نفسه على بوابة جامعة المستنصرية مما أدى إلى استشهاد وجرح عدد كبير من طلاب الجامعة كما فجرت سيارة مفخخة قرب الجامعة، لكن كل هذه الهجمات الإرهابية لم تتمكن من إيقاف الدراسة وغلقت أبواب المدارس والجامعات.

تقول الطالبة وسن عبد الكريم من كلية التربية في الجامعة المستنصرية، كنا نهم بدخول الجامعة وقد تأخرت قليلا في أحد مكاتب الاستنساخ المنتشرة قرب الجامعة حين سمعت دوي انفجار هائل وعرفت فيما بعد أن انتحاريا فجر نفسه على بوابة الجامعة وأدى ذلك التفجير إلى استشهاد وجرح عدد من طلبة الجامعة لكن تلك الجريمة لم تمنع الطلبة من مواصلة الحضور واستمرار الدراسة في عملية تحد رائعة.

البغداديون والعودة إلحايوتها

تراكمت الأزمات واستفحلت منذ

سقوط النظام المباد وحتى اليوم وهي تزداد تأثرا في حياة كل العراقيين أن يجري حلها بسبب الإهمال المتعمد من حلقات المافيا المتعددة الهويات فمن أزمة الكهرباء إلى أزمة الوقود إلى تصاعد الأسعار، فأجرة النقل الخاص والعام تضاعفت عدة مرات، كنت أصل جريدة (المدى) من الكاظمية بأجر لا يتجاوز الـ ٢٠٠٠ دينار أما اليوم فالأجرة هي ٧٠٠ دينار وارتفع سعر الخبزة إلى ١٥٠ دينار وانخفض عدد الخبزات المستبدلة بكيلو الطحين من أربع خبزات إلى ثلاث ومع رحيل الشتاء وانتهاء موسم البرد لم ينخفض سعر قنينة الغاز عن ١٤٠٠ دينار، لهذا عاد البغداديون إلى التراتر لحل هذه الأزمات، فقد عاد التنور الطيني إلى البيوت البغدادية، وازدهرت تجارة السعف اليابس كوقود وتعلمت سيدات البيوت كيفية استخدام التنور، وعادت إلى البغداديين عاداتهم في النوم على السطوح واستخدام الجرة لتبريد الماء (التكنكة)، وعاد عدد من المواطنين إلى استخدام الدراجات الهوائية في مواجهة أجور النقل اللائحة والفايروس ولأن الكيوسمين أو (النفظ الأبيض) استخدمه البغداديون باستخدام (الجولة) التي اقتصرت مع ظهور الطباخين الغازية والكهربائية ومع كل هذه الأزمات فإن الوضع الاقتصادي في العراق يتحسن كما يقول مؤثر بغداد للأوراق المالية حيث تتصاعد

محال الأزياء النسائية، حيث الجنس اللطيف يرود هذه المحال مثل حمامات آمنة. وتنتج إلى شارع الربيعي حيث محال ومطاعم الدرجة الأولى وهنا تختلف الحال فالفتيات يرتدين أزياء حديثة ويجولن مع ذويهن ومدينة الألعاب الواقعة في مدخل الشارع مكتظة بالأطفال، من قال إن بغداد تنام مبكرا إذن؟ إنها تعيش ذروة التحدي.

الكاظمية والحركة الدؤوب

الكاظمية مدينة ترتفع فيها درجة الأمان بنسبة إلى بقية أحياء بغداد ومدينتها ولهذا فإن الحركة فيها نشطة فأسواقها مكتظة بالبياع وفنادقها ممتلئة بالزوار القادمين من شتى محافظات العراق، كما إن المولدات الخاصة توفر إنارة رائعة للمحال والشوارع وضريح الإمام موسى بن جعفر وقبائه تزدهر بأنوارها الخاصة الغالية الخضرة، أما ليها فيمتد طويلا حيث يهرب الرجال إلى مقاهي الشاطي للتمتع بالأنور والتبريد ولقاء الأصدقاء بينما يلعب الشباب البليارد، وتلعب أنسام دجلة في المقاهي المكشوفة التي أقيمت على الضفة مباشرة وتكتظ مطاعم شارع المحيط بروادها القادمين من الأحياء المجاورة، ما زالت بغداد بالرغم كل شيء يحتفظ باسمها الخالد (دار السلام) ولم تنجح عصابات التخريب والإرهاب في شطب هذا الاسم برغم جرائمها المؤذية ويرد أحد شيوخ الكاظمية قوله (بغداد) مبنية بثمر فاش واكل خستاي.

يوم جمعة بغداد

أسواق تعج بالحركة وحمامات تنفض غبار الصيف عن روادها

بغداد / المدى

جمعة بغداد تبدأ بالحمام، والحمام البغدادي أشهر من نثار على علم بطقوسه وبيروتوكولاته وأتيكيتته الخاص، بأدواته ولوازمه، وطابعه الذي نقله زرياب إلى الأندلس ومدينتها الأموية، يعطره العباسي البغدادي الذي لا يزال ينبعث من حنايا مدريد وأشبيلية وبلد الوليد وقرطبة وطليلة حتى اليوم، قبل أن يعلم التروياذور صيحتهم الشهيرة وقبل أن يزيد في أوتار العود أوتارا. ويرغم التطور الذي طرأ على هندسة البيت البغدادي وشمل حمام الدار التي حوت في بيوت الطبقة الراقية حوض استحمام (بانينو) أو حتى حوض سباحة، فإن حمام (السوق) لم يفقد جاذبيته ولم يفقد المدلك زبائنه ولم تتمكن معاهد الرشاقة بحمامات الساونو وأجهز وخبراء الترشيق من التقليل من شعبية حمام السوق. بعد أن تنهى حمامك وتتبغد مرتديا ومعترا، ناسيا أو متناسيا أو متحديا جرائم الإرهاب والإرهابيين والسيارات المفخخة والعبوات الناسفة والانتحاريين أعداء الحياة، يمكنك التجوال وأمامك خياران، مسجد لصلاة الجمعة، وسوق لشراء واحدة من حاجياتك التي لن تتمكن من شرائها أو بيعها إلا هذا اليوم.

وضريح الإمام ابي حنيفة العمان بن ثابت الذي نشأ حوله حي الأعظمية ومسجد وضريح الإمام موسى بن جعفر وحقيدته الإمام محمد الجواد (ع) الذي نشأ في الكاظمية واحتوت كل مقابر قرش التي كانت الكاظمية موقعا.

أما الأسواق فاليوم هناك سوقان رصافيان شهيران يعقدان يوم الجمعة، هما سوق الباب الشرقي، مركز المدينة، وسوق الغزل منتصف شارع الجمهورية أو شارع الخلفاء.

الأول تحد فيه كل ما يخطر ولا يخطر لك ببال وبإمكانك أن تعثر فيه على بعض أجزاء الخلفاء.

المخ أو (براغي) طائرة الميراج أو الميخ أو الباسجر بعد أن أضافتها الحواسم إلى قائمة السلع القابلة للبيع، وهنا لصوصا بالمعنى وإنما هم نصايبون قادرين على بيعك بستانا في جزر القمر. وقد عاد إلى هذا السوق بفضل جهود الشرطة الكثير من الأمان الذي اقتدته بغداد بعد سقوط النظام، وبرغم ذلك يحاذر الكثيرون القوم إليه حاملين مبالغ كبيرة، فذكريات "العلاسة" لم تنح تماما، وهؤلاء يمارسون التسليب في وضع النهار وهذه هي تسميتهم التي عرفوا بها وهي الشائعة عنهم. أما السوق الآخر، سوق الأمم، فهو سوق الطرافة حقا (سوق الغزل) ويجانبه المنارة الشهيرة لجامع سوق الغزل،

وهنا تجد اندر أنواع الطيور والحيوانات والأفصاعي وتسميتها بسوق الأمم تسمية حديثة يقصد منها الإشارة

إلى لغات أمم الطيور وأصواتها المختلفة. وهنا أيضا يمكن أن يصطادك القفاصة ما لم تكن خبيرا أو حذرا، فيبيعوك غرابا

على أنه نوع من الحمام الزاجل، وقد شاهدت أحد الجنود الأمريكيان يتجول في السوق ويبيده ببغاء خرساء



يبحث عن باعها له الأسبوع الماضي بثمن مرتفع بعد أن أقنعه أنها تتحدث السنسكريتية اليوم. ويلزمها قليل من الوقت لتتحدث الإنجليزية، ولم يكن من تجواله شيئا فحمل ببغاه وترك السوق يرطن بلكنته الأمريكية القبيحة مودعا بضحكات الباعة والزبائن الذين قالوا إنه حصل على "بوري بغدادى".

ومن تقاليد الجمعة البغدادية الذهاب فجرا إلى المقابر مثل مقبرة الخيزران قرب ضريح الإمام أبي حنيفة ومقبرة برائنا قرب جامع برائنا. ومقبرة الشيخ ومقبرة محمد سكران وبقية المقابر البغدادية، حيث تقرأ سور من القرآن الكريم عند رأس الميت، وتوزع بثواب روحه النقود والطعام.

أما الشحاذون فهم يتهاون منذ الصباح الباكر فيقتعدون أبواب المقابر أو يتجولون بين القبور ويقرا بعضهم القرآن قراءة مليحة ويجودونه تجويدا رائعا فيتجود عليهم رواد المقابر بما فضل الله عليهم وما زلت أتذكر الشيخ عبد الحميد الكرخي قارئ القرآن الضريور وهو يتجول بين القبور في مقبرة الكرخ متكئا على كتف ولد الصغير برفق ليبرشه إلى حيث يجتمع ذوو الموتى ليقرأ لهم ما تيسر من القرآن الكريم وهو يقول إن (الثواب) الذي يحصل عليه من قراءة القرآن الكريم أعظم بكثير من المال الذي يحصل عليه من ذوي الموتى. وما يليث الشحاذون أن يغادروا المقابر بمجرد أن يغادروا الزوار، إلى

أبواب الجوامع حيث تؤدي صلاة الجمعة. أما المثقفون والشعراء والأدباء فتجمعهم بعض المقاهي منذ الصباح حتى الظهيرة وقد انضرت مقهى الشابندر بهذه الصفة، وإذا أردت مقابلة أحد المثقفين دون أن تعرف عنوانه فما عليك إلا الذهاب يوم الجمعة إلى مقهى الشابندر، وحتى إذا لم تعثر عليه فستجد من يدلك على عنوانه، بعد المناقشات المصاحبة، أو التحيات الحارة أو الباردة في مقهى الشابندر يأتي دور اتحاد الأدباء حيث يجالس المثقفون بعضهم بعضا في شغل معروفة حتى المساء حيث ينفرط العقد من جديد ويذهب كل واحد منهم إلى بيته فالوضع الأمني لا يسمح بالبقاء إلى ساعة متأخرة من الليل مثلما كان الأمر سابقا.

المراة لها برنامجها الخاص يوم الجمعة سواء أكانت موظفة أو ربة بيت، فهي اليوم تقوم بجرد البيت وتعزله وتنظيفه بالمعنى الأدق وتحميم الأولاد والهيسؤ لاستقبال الضيوف، وطبخ طبق خاص بيوم الجمعة، أو الذهاب بزيارة (بيت الأهل) أو الأخوة والأخوات وبخاصة بيت الأخ الأكبر أو الأخت الكبيرة أو زيارة بيت البنات أو الولد المتزوج (الغازل) أي الذي يسكن دارا لوحده هو وزوجته وليس مع أهله. أو جمع شمل العائلة كلها والذهاب لزيارة اضرحة الأولياء ومن أشهر هذه

التقاليد هي طبخ طبق (الدولة) والذهاب إلى ضريح السيد إدريس في الكرادة وتناوله هناك.

أما نحن الأطفال فقد كان لنا برنامجنا الخاص الذي كانت السينما محوره وكنا نبحث عن أفلام مثل (طرزان) أو بعض الأفلام الحربية التي كانت يمثلها بطل كمال الأجسام الأمريكي ستيف ريفز ومن الأفلام التي لا أنساها فيلم سبارتاكوس الذي كان يتحدث عنه أسابيع عديدة حتى انضغنا عنه بفيلم ستام الهندي وأفلام شامي كابور وشامي كابور وشامي كابور وسواهم، ثم اضغنا بعد ذلك إلى التلفزيون الذي كان يعرض أفلام الكاويبي عند الظهيرة وتعرفنا إلى جون واين وكليبت ايستود وسواهم ومن أبطال الكاويبي والسيمنا الأمريكية ومع ذلك ما زلت أتذكر أفلاما بمستوى (ذهب مع الريح) عرضها تلفزيون بغداد ظهيرة الجمعة من كل أسبوع.

كانت الجمعة بالنسبة لنا نحن الأولاد أطفالا وصيانا وشبابا في بغداد بمثابة عيد يتكرر كل أسبوع، فكان نجتمع يومياتنا طوال أيام الأسبوع لننفضها بيوم الجمعة الذي يختلف يوميته عن الأخرى عن بقية أيام الأسبوع فالأهل يدركون الإيقاع الخاص لهذا اليوم. جمعة بغداد لم تعد كالسابق أو كما كانت في طفولتنا وصباونا وشبابنا لكنها مع ذلك ما زالت تحتفظ بروحها وخطوطها الأساسية وبصمتها التي لا تنسى.